مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد:26 عدد: 63 السنة: 2022

# الحياة الثقافية في إقليم توات
# Cultural life in the province of Touat

**بلعروسي عبد الفتاح[1]**
**جامعة تلمسان، الجزائر**
**abdelfatahbelaroussi@gmail.com**

**تاريخ الوصول 2019/06/13 القبول 2021/07/07 النشر على الخط 2022/01/15**
**Received 13/06/2019 Accepted 07/07/2021 Published online 15/01/2022**

## ملخص:

يتربَّع إقليم توات بمناطقه الثلاث (قورارة، توات الوسطى، وتيديكلت) على مساحة واسعة من الجنوب الغربي الجزائري، وقد شهِد منذ القرن الثاني عشر الميلادي استقرار الهجرات البشرية ونزوح عدداً من علماء تلمسان وفاس، وشهد بدءً من القرن الرابع عشر الميلادي ازدهاراً حضارياً.

من بين العلماء الذين أسهموا إسهاماً واضحاً على الحياة العلمية في منطقة توات الشيخ مولاي احمد الطاهري الإدريسي الحسني. خرج هذا الأخير من تمبكتو في السادس والخمسين وثلاثمائة والآلف من الهجرة (1356هـ)، رفقة جماعة متوجهين إلى الصحراء، وانتهى به المطاف إلى منطقة توات فكان أول ما دخل إلى منطقة رقان ثم منها إلى سالي حيث أسس بها مدرسته القرآنية وبدأ نشاطه العلمي فيها، حيث أصبحت المنطقة في عهده مقصدا ومزارا لطلاب العلم من داخل الوطن وخارجه.

**الكلمات المفتاحية:** الحياة الثقافية، أقليم توات، الشيخ مولاي أحمد الطاهري، الرحلة العلمية.

## Abstract :

The province of Twatt, with its three regions (Gourara, Tout, and Tidekelt), covers a large area of the Algerian south-west. The twelfth century AD witnessed the stability of human migrations and the emigration of a number of Tlemcen and Fes scholars.

Among the scientists who made a clear contribution to the scientific life in the area of Toat Sheikh Moulay Ahmed Tahiri Idrissi Hassani. The latter came out of Timbuktu in the fifty-sixth and three hundred thousand of the migration (1356 e),

A group led to the desert, and ended up in the area of Touat was the first to enter the region of Raqan and then to Sally, where he founded his Koranic school and began its scientific activity, where the region has become a destination and a shrine for students of science from inside and outside the country.

**Keywords:** Cultural life, Touat province, Sheikh Moulay Ahmed Tahiri, scientific trip.

[1] – المؤلف المراسل: بلعروسي عبد الفتاح البريد الإلكتروني: **abdelfatahbelaroussi@gmail.com**

## 1. جغرافية الإقليم:

يطلق اسم توات على جنوب غرب الصحراء الجزائرية وهو يمثل أجزاء من الصحراء الكبرى أوسع صحاري العالم، حيث يقول السعدي في كتابه تاريخ السودان :" إقليم توات مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية الغربية الجنوبية، جنوب القطاع الوهراني وشمال الهقار"، ويقول عبد العزيز القشتالي في كتابه مناهل الصفا في إقليم توات: "هو أوسع وطناً وأفسح مجالاً وأقرب للسودان اتصالاً وجواراً"[1].

تبعد أقرب منطقة من هذا الإقليم عن العاصمة الجزائرية بحوالي 1500 كلم وهذا الإقليم يشتمل على عدد من الواحات والمدن والقصور تزيد عن الثلاثمائة وخمسين واحة متناثرة هنا وهناك على رمال الصحراء أشبه بالأرخبيل في البحار، وهي تغطي حوالي ألفي ميل مربع من الأرض ويقع الإقليم بين خطي عرض 26 درجة و30 درجة شمالا وبين خطي طول 04 درجة غرباً و01 درجة شرقاً.

والإقليم يقع حالياً ضمن امتداد ادرار وتيميمون وعين صالح، فالأولى تعرف باسم منطقة توات والثانية باسم منطقة القورارة والثالثة باسم منطقة تيديكلت، وقد أطلق بعض الكتاب القدماء على المناطق الثلاث مجتمعة اسم إقليم توات، فمدن وقصور الإقليم تمتد في سهول رملية جنوب العرق الغربي الكبير وحول هضبة تادميت من جهاتها الثلاث الشمالية والغربية والجنوبية.

وينتهي الإقليم بثلاثة أودية تصب مياهها الجوفية فيه لتغذي الفقاقير والآبار التي بعثت الحياة في هذا الجزء من الصحراء، وهذه الأودية هي وادي مقيدون الذي ينتهي بمنطقة القورارة، ثم وادي مسعود الذي ينتهي بمنطقة توات والثالث وادي قاريت الذي ينتهي بمنطقة تيديكلت ونظرا لقلة المياه اللازمة للزراعة فإن سكان الإقليم قد اهتموا بزراعة النخيل في المقام الأول، لأن النخلة تستطيع تحمل قسوة الطبيعة في الصحراء من جفاف وزوابع رملية وحرارة فقد تصل درجة الحرارة صيفا إلى 50 درجة مؤية، وبعد أهمية الماء والنخلة يأتي الجمل الذي كان يعتبر وسيلة الربط بالعالم الخارجي للتجارة فالمنطقة كانت محطة هامة للقوافل التجارية، حيث مارس الأهالي داخل منازلهم بعض الحرف والصناعات كغزل ونسيج القطن والصوف لصنع البرانس و الأبسطة التي كانت لها شهرة كبيرة في التجارة[2].

أما المناخ فيسود المنطقة مناخ صحراوي جاف شديد البرودة شتاء وشديد الحرارة صيفا والأمطار فهي شبه منعدمة إلا في الحالات الاستثنائية، تعصف بها رياح جنوبية تسمى الشهيلي وتدعى محليا "أريفي" ورياح جنوبية شرقية وتسمى السيروكو[3].

## 2. أصل التسمية وبروز الإقليم:

أما مصطلح توات فهناك اختلاف كبير حول معناه، منها أن الكلمة أصلها من اللغة التكرورية وهي تعني وجع الرجل في لغة الماليين القدماء، ويورد في ذلك قصة لسلطان مالي واسمه "كنكان موسى" عندما اجتاز المنطقة أصابه وجع في رجله يدعى عندهم باسم توات فسميت المنطقة باسم المرض[4].

[1] – غيتاوي مولاي التوهامي، 2005، ص5
[2] – فرج محمود فرج، 1977، ص1-4
[3] – حاج أحمد الصديق، 2003، ص37
[4] – بوساحة أحمد، 2001، ص78

ومن المصطلحات كذالك هي أنها تواتي العبادة لأن كل من قدم إليها من الأولياء تواتيه للعبادة، وقيل أنها من الأتوات أي المغارم والمكوس التي كانت تدفع للملوك الموحدين[1].

ومنها كذالك أن أصل التسمية هي لإحدى قبائل الصحراء بالجنوب وصاحب هذه الرواية هو أبو عبد الله الأنصاري صاحب كتاب فهرست الرصاع، ومنها أن التسمية أعجمية أطلقتها قبائل لمتونة عندما لجأت إلى الإقليم في منتصف القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، كذلك تطرق إليها أحد الغربيين ويدعى "روكليس" ويرى أن التسمية بربرية معناها الواحة[2].

كما يورد الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي أن أحد الفرنسيين واسمه" وتين" أعتمد على مؤلفات تواتية، حيث نشر دراسته عن الناحية سنة 1905، وهي دراسة عن أصول سكان توات طبقا للتقاليد المحفوظة، فقسم المنطقة إلى نواحٍ تبدأ بالسبع وتنتهي بتاوريرت وتشمل قصور بودة وتمنطيط وبوفادي وفنوغيل وتامست ،وزاوية كنتة وانزجمير وسالي وإنزقلوف ورقان وغيرها[3].

بما أن معظم تسميات قصور الإقليم هي بلغات بربرية غير عربية فمن هنا تُعتبر التعاريف التي مفادها أن أصل التسمية بربري أكثر صدقاً و واقعية من التعاريف التي أوردت أصل التسمية عربي وبميزان العقل والمنطق لا يمكن تسمية الفرع بربري والأصل عربي، فما دامت القصور والقرى بتسميات بربرية وهي الفرع فلا بد أن يكون أصل التسمية بتوات بربريا لأنه الأصل[4].

أما عن أول تواجد للسكان بالإقليم فيعود إلى ما قبل الإسلام وكانت تسمى بالصحراء القبلية ثم كثرت عمارتها بعد القرن الرابع الهجري إلا أن معظم الدراسات تؤرخ لها من بداية القرن الرابع الهجري ودخول قبائل زناتة للإقليم[5].

فبعد دخول زناتة تحت لواء الدولة المرابطية بقيادة يوسف بن تاشفين الذي استولى على المنطقة في القرن الرابع الهجري واتساع الدولة المرابطية كانت توات كلها تحت حكمها وتدين لها بالولاء، لكن بعد ضعف المرابطين وانحطاط قوتهم قامت دولة الموحدين التي تعقبت الفرع الزناتي من القبائل البربرية[6].

فاضطر عدد كبير منهم إلى التفرق في الصحراء والهجرة إليها والنزوح حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي، وبعد أن تجمع العدد الكبير من الأهالي كان عليهم أن يكيفوا أنفسهم على حياة الاستقرار داخل المدن والقصور التي شيدوها وصار شيخ القبيلة شيخا للقصر ومجلس القبيلة مجلسا للبلدة[7].

ثم دخلت المنطقة تحت لواء الدولة السعدية التي كانت تحكم في المغرب الأقصى، وذلك بعد أن استقر الأمر لأبي العباس أحمد المنصور الذهبي بمراكش وأمن من هجوم الأتراك على المغرب طمحت نفسه للتغلب على بلاد قورارة وتوات وما انضاف إليها من القرى

[1] – الطاهري مولاي أحمد، ص04
[2] – حاج أحمد الصديق، 2003، ص26-28
[3] – أبو القاسم سعد الله، 1998، ص393
[4] – حاج أحمد الصديق، 2003، ص29
[5] – غيتاوي مولاي التوهامي، 2005، ص10
[6] – جمال طه، ص49
[7] – فرج محمود فرج، 1977، ص5

لأن هذه المنطقة لم تصلها أيدي الملوك السعديين من قبل فوجه إليها جيشا ووضع على رأسه قائدان هما أبا عبد الله محمد بن بركة والقائد أبا العباس أحمد بن الحداد العمري المعقلي[1].

وقبل تحرك الحملة وجه السلطان رسالة إلى زعماء القبائل تتضمن الدعوة إلى الطاعة والانخراط في سلك الجماعة والاعتماد على مركز علاء الدولة والوقوف مع خط استوائها، والثقة بأن أبواب القبول والكرامة مفتوحة، فكانت الحملة بعد التمنع والاستخفاف وعدم الرد من طرف القبائل،وطالت الحرب أياما ثم كان الظهور والغلبة لجيش المنصور فأذعنت القبائل ودخلت في سلك الجماعة وكان ذالك سنة تسعين وتسعمائة هجرية[2].

وقد تطرق عدة مؤرخين وعلماء للمنطقة: منهم ابن حوقل الذي قال بين" المغرب والسودان مفاوز وبراري منقطعة قليلة المياه متعذرة المراعي لا تسلك فيها ألاّ الشتاء"[3].

أما ابن بطوطة فقد ذكر بعض مناطق توات وهي بودة وقال هي "أكبر قرى توات وأرضها رمال و سباخ وتمرها كثير ليس بطيب، ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت وإنما يجلب لها ذلك من أرض المغرب وأكل أهلها التمر والجراد"[4].

ويتحدث الشقراني في كتابه القول الأوسط أن قبائل صنهاجة اللمتونيين الذين استوطنوا توات أصلهم من حمير ومساكنهم بين البرابرة والسودان ومن البحر المحيط غربا إلى غدامس وفزان قبلة طرابلس وبرقة شرقا[5].

## 3. الحياة الثقافية:

أما الحياة الثقافية والعلمية في المنطقة فإنها كانت ومنذ تاريخها المبكر كمنار للعلم وسط هذه الصحراء الشاسعة فقد ساهمت في مد السودان الغربي بالثقافة والحضارة العربية الإسلامية وكانت مدينة "تمبكتو" مقصدا للعلماء والفقهاء التواتيين منذ القرن الرابع الهجري، ولم يقتصر الأمر على الفقيه التواتي فحسب بل تعدى الأمر إلى التاجر فقد ساهم في هذا الدور، ورغم بُعد الإقليم عن مراكز الحضارة والعمران والثقافة في المغرب والمشرق الإسلاميين إلا أن هذا لم يكن عقبة أمام أهل توات للاطلاع والمشاركة في الحياة الثقافية والفكرية التي نشطت في العالم الإسلامي قديما، فقد كانت هناك مراسلات بين الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي والإمام جلال الدين السيوطي[6].

أما من ناحية العلوم المدروسة في المنطقة فقد اهتم السكان بتدريس أبنائهم وتحفيظهم كتاب الله وتعليمهم آداب اللغة العربية وأصول الدين وكان يتم هذا في المساجد والزوايا والمدارس القرآنية، فقد اشتهرت بعض القرى والقصور في المنطقة بنشاطها الثقافي والعلمي، منها

[1] – أبو العباس احمد بن خالد الناصري، 1955، ص91

[2] – محمد الغربي، ص173-174

[3] –بن حوقل النصيري أبي القاسم، ص23

[4] – ابن بطوطة ، ص706-707

[5] –أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي، 1991، ص52-53.

[6] – فرج محمود فرج، 1977، ص14-15.

تمنطيط وبودة وملوكة وزاوية كنتة وكوسام وزاجلو وغيرها وهي أماكن تعليمية رئيسية بمنطقة توات كذالك نجد أولاد سعيد وتيميمون بمنطقة القورارة وأقبلي وعين صالح بمنطقة تيديكلت[1].

وينقسم التعليم في منطقة توات إلى قسمين: الأول عام فلا تكاد تخلو قرية أو قصر منه وهو تعليم أولي ابتدائي ويصطلح عليه تسمية "أقربيش" وهي عبارة عن غرفة تابعة للمسجد ويدرس فيها الصبيان علوم القرآن ويلتحق به الطفل في سن الرابعة من عمره أما القسم الثاني وهو ما يسمى بالمدارس الدينية ويتوجه إليها التلميذ بعد أن يكون قد حفظ القران أو كاد أن يحفظه في المسجد[2]

وكيفية التعليم والطريقة التي تمر بها في المنطقة فهي على ثلاثة مراحل:

**أولاً**: تعليم القران وما يحلقه من العوائد الخاصة كالتجويد والإتقان والحفظ التام لكتاب الله، وتُقدم للطالب بعض الهدايا تشجيعا له وللعلم في المنطقة فهناك من يتبرع بالنخيل أو الماء وحتى النقود والدراهم والحيوانات(الماشية) ويكون الطالب قد قطع أول شوط في مرحلة الدراسة.

**ثانياً**: تدريس الحديث ويكون عن طريق القراءة من الكتب وعادة قراءة الحديث النبوي تكون في الأشهر التالية من شعبان إلى ذي الحجة وقد تمتد إلى أكثر، أما الكتب المعتمدة فأولها صحيح البخاري، موطأ الإمام مالك وصحيح مسلم وتعتمد على شروح منها إرشاد الساري شرح القسطلاني أو فتح الباري لابن حجر العسقلاني وهي كلها شروح لصحيح البخاري.

**ثالثاً**: تدريس الفقه والنحو وغيرهما من العلوم وهذا بعد التحاق الطالب بالمدرسة الفقهية ويبدأ أولا بدراسة علم العقائد ليفهم معنى العقائد التوحيدية التي سبق له أن تلقى متونها الشعرية وحفظها عند معلم القران، ويبدأ بمنظومة الأوجلي ثم جوهرة اللقاني ثم ينتقل إلى متون الفقه الصغرى كالأخضري وابن عاشر وينتقل إلى مصنفات الفقه الكبرى مثل أسهل المسالك على مذهب الإمام مالك وهو المذهب السائد في الصحراء خاصة والمغرب العربي عامة، وبعد ذلك ينتقل الى متن الرسالة لأبي زيد القيرواني ومتن العلامة خليل، وبالنسبة لعلم النحو فان التلميذ يضع فيه لوحة وتتضمن الفقه كذلك ويبتدئ بمقدمة ابن اجروم المعروفة بالأجرومية لاشتمالها على القواعد الأساسية للنحو ثم يتدرج إلى ملحة الإعراب ثم ألفية ابن مالك، أما عن جملة الكتب التي تدرس في المنطقة وفي مختلف المجالات نذكر منها: نظم الأوجلي وجوهرة اللقاني في العقائد، والأخضري والعبقري والمرشد المعين ونظم أسهل المسالك والرسالة القيروانية ومختصر خليل كلها في الفقه والعبادات، وفي الفرائض الرحبية والرسموكي، أما النحو فكما ذكرنا سابقا الأجرومية والملحة والألفية، وهناك مصنفات أخرى في أصول الفقه والحديث وغير ذلك من الفنون والتي يطول الحديث عن ذكرها.

لهذه المدارس والزوايا وما تدرسه من فنون أثر بليغ في تربية وتهذيب الشباب وتحميهم من الانحرافات والمزالق وهي تقوم كذلك تقوم بإيواء الفقراء والمساكين والضيوف، والإصلاح بين الناس ولها أثر في الدعوة إلى الله وجهاد أعداءه[3].

[1] – غيتناوي مولاي التوهامي، 2005، ص 10-11.

[2] – الصديق حاج أحمد، 2003، ص45-47.

[3] –باي بلعالم محمد ، 2005، ص262-310

ولقد شهدت الحركة العلمية الثقافية ازدهارا كبيرا في بعض قصور الإقليم خصوصا بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الهجري الموافق للسابع عشر والتاسع عشر الميلادي لكن مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين انطفأت هذه الشعلة وأصبح يخوض في ظلمات الجهل خصوصا مع دخول الاستعمار الفرنسي المنطقة ومحاربته التعليم ونشاط الزوايا، وما يلاحظ هو ظهور عدة علماء جهابذة كبار في تلك الفترات نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي والشيخ سالم العصنوني والشيخ سيدي عبد الرحمن الجنتوري، أما في منطقة القورارة نجد الشيخ سيدي عمر بن صالح الوجروتي الذي ذكره الحفناوي في كتابه تعريف الخلف برجال السلف، وكذلك الشيخ سيدي عبد الكريم بن أمحمد بن أبي محمد التواتي الأمريني ويدعى شيخ المشايخ ويلقب بعالم توات وكذلك الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم وكذلك الشيخ سيدي احمد بن ديدي، والذي في عهده كانت تمنطيط قبلة الطلاب ومن العلماء الأجلاء في المنطقة نجد الشيخ سيدي احمد الرقاد بزاوية كنتة ،وكذلك الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير في نفس المنطقة، أما في منطقة تيديكلت نذكر بعض العلماء منهم الشيخ محمد بن أب المزمري الذي توفي بتيميمون، وكذلك سيدي عبد الله بن احمد الفلاني وسيدي محمد عبد الرحمن بن محمد السكوتي وغيرهم من العلماء الذين لا يحصون عددا وكل هؤلاء العلماء عاشوا قبل القرن الرابع عشر الهجري العشرين الميلادي وهناك من عاش منهم في القرن التاسع الهجري كالشيخ المغيلي ومن عاش حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري العشرين ميلادي مثل العالم سيدي احمد بن ديدي، وفي القرن العشرين الميلادي ظهر عالمان برزا في الأفق هما الشيخ مولاي احمد الطاهري في سالي حيث أصبحت المنطقة في عهده مقصدا ومزارا لطلاب العلم وكذلك الشيخ محمد بلكبير في أدرار[1].

لقد كان من بين العلماء الذين أثروا تأثيرا واضحا على الحياة العلمية في منطقة توات عالم ظهر في أواخر الثلاثينيات فحمل مشعل العلم الذي كاد ينطفئ وأوصله إلى أجيال بعده سارت على نهجه ونهج أسلافه وهذا العالم يعرف في المنطقة بالشيخ مولاي احمد الطاهري الإدريسي الحسني.

## 4. مولده ونسبه:

قال الشيخ مولاي عبد الله وهو أخو الشيخ مولاي احمد ومدرسه: ولد أخي النبيل والغطريف الأصيل بالقرية المعروفة بأولاد عبد المولى من نواحي بوجمادة، في محافظة مراكش عام خمس وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية 1325هـ بعد استقرار والده في قرية أولاد عبد المولى وكان أبوه مولاي عبد المعطي شيخ عصره وفريد دهره آنذاك[2].

أما نسب الشيخ فيعود إلى الشرفاء الأدارسة السباعيين، وهو احمد المعروف بالطاهر بن عبد المعطي بن احمد بن محمد بن عبد المعطي بن علي بن إبراهيم بن يحي بن محمد بن عبد المولى بن عبد الرحمن الغازي بن عمرو بن أعمر بن مولانا عامر المكنى بابي السباع بن إحريز بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن إدريس بن محمد بن يوسف بن زيد بن عبد المنعم بن عبد الواسع بن عبد الدايم بن عمر بن سعيد بن عبد الرحمن بن سالم بن عزوز بن عبد الكريم بن خالد بن سعيد بن عبد الله بن زيد بن رحمون بن زكرياء بن عامر بن محمد بن

[1] – حاج أحمد الصديق، 2003، ص75-137

[2] – الطاهري مولاي أحمد ، 1994، ص7

عبد الحميد بن علي بن محمد بن عبد الله بن محمد بن إدريس بن إدريس الأكبر مؤسس الدولة الإدريسية في المغرب الأقصى بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي كرم الله وجهه وأمه فاطمة الزهراء بنت سيد الأولين والآخرين، وهكذا ساق هذا العمود الشريف والعقد النفيس غير واحد من العلماء الأخيار العاملين الأبرار، كالشيخ سيدي محمد المجلسي والإمام المؤرخ الكبير الواعية الشهير الذي انتقلت إليه رياسة التاريخ بلا نكير العلامة أبي زيد بن خلدون، وإمام المحدثين الحافظ السيوطي والعشماوي .

أما ابن خلدون فقد ذكر السباعيين في تاريخه الصغير، والسيوطي في تأليفه شجرة الأنساب والعشماوي في مؤلفه المنفرد في ذكر الشرفاء[1].

ونسب الشيخ يعود إلى الأدارسة الذين أسسوا الدولة في المغرب الأقصى ويعود تأسيسها إلى إدريس الأكبر القادم من المدينة المنورة بعد اضطهاد العباسيين لهم فكان ممن نجا من أهله فقصد بلاد المغرب وأسس الدولة عام اثنان وسبعون ومائة 172هـ وتوسع بفتوحاته إلى تلمسان أين كانت قبيلتي مغراوة وبني يفرن .

أما كنيته "السباعية" فهي لجده عامر الهامل الذي عاش في القرن الثامن الهجري ، والسباعيين استوطنوا الصحراء وتاريخهم على مر العصور حافل بالمآثر التي كانت تصدر من فطاحل العلماء والمجاهدين الذين ابلوا البلاء الحسن في الدفاع عن حوزة الإسلام[2].

وسبب الكنية السباعية هي أن عامر الهامل عندما ذاع صيته واشتهر بين الناس، أرادت قبيلة البرابيش أن تختبر ولايته فأرسلت إليه وفداً من الفرسان حوالي تسعة وتسعين فرحب بهم وأبدى لهم الكثير من البشاشة والإكرام، وقدم لهم الطعام فلم يرضوا بذلك وقالوا لقد قصرت في ضيافتنا ولم تقدرنا حق قدرنا فلما تبين له قصدهم وعرف مرادهم صاح بأعلى صوته "يا ميمون"، فأحاطت بهم السباع من كل جانب وصارت تناوشهم حتى لاذوا به وتلقوا بأذياله وصاروا يتضرعون أن يكف عنهم سباعه فرجعت عنهم السباع فتابوا بعد وأقروا بولايته[3].

## 5. نشأته التعليمية:

لقد كان الشيخ بعد بروزه لعلم الوجود في حضانة أمه، وكفالة أبيه إلى خمس سنين من عمره ثم توفي والده –رحمه الله–وبعد ذلك تولاه أخوه مولاي عبد الله بن عبد المعطي، الذي كان علامة وباحثا وعلى درجة كبيرة من العلم حتى أصبح سيد العلماء في مراكش وأحوزاها[4].

فبعدما تولاه أخوه رباه على أحسن تربية وأنشأه بالأخلاق الكاملة الزكية فلما رأى فيه علامة النجابة وتوسم فيه الفطانة والحذاقة واللبابة، ابتدأ له تعليم القران الكريم فيما يقرب السبع من السنين وفي العشر من عمره حفظه حفظ إتقان وتوجه لطلب العلم، وقبل مجاوزته الرابعة عشر من العمر تحصل على جملة من فنون العلم بتحقيق ويقين، تفقه في مذهب الإمام مالك بالخصوص، فتمكن فيه

[1] – الحسني الإدريسي بن عبد المعطي عبد الله، 1986م، ص17-32

[2] – الشيباني الإدريسي أحمد، 1987، ص247

[3] –لشقر مولاي أحمد، ص56-57

[4] – بطحي عائشة، مراكش، 1997-1998، ص56

بالفروع وأدلتها القاطعة من القياسية والنصوص، فكان له فيه الباع الطويل والمقام العالي الجليل، وهكذا شأنه في جميع أنواع العلوم فكان نحويا بليغا، منطقيا، أصوليا، مفسرا، محدثا، حسابيا، فرضيا، فقيها، ذا علم بالقراءات، وبالجملة فهو بحر ذاخر ولا زال في طلب العلم يخطو خطى بجد واجتهاد حتى انتهى لمقام الإفادة والاستفادة، ولما كان بذي المكانة والمقام تاقت نفسه للسلوك إلى الملك العلام بطريق السادة الصوفية الأعلام فأخذ الطريقة القادرية على أخيه الشيخ الإمام فلقنه إياها وأجازه فيها بالإذن التام وهذه الطريقة خالية من البدع والخرافات والمنكرات والشطحات لا كما يصورها البعض[1].

أما عن ذكر شيوخه فهم متواترين ابتداء من أخيه الشيخ مولاي عبد الله الذي كان يعرف بسيد غالب العلماء في المغرب،وهو يعرف من نفسه التفوق على غيره ويدرك من علماء تلك الناحية أنهم دونه بمراحل فكان يشيد بنفسه تحدثا بنعم الله عليه وكان القضاة والمفتون هناك يتحامونه، وإذا حضر ألقوا إليه الزمام وأجلسوه في صدر المجلس تفرغ للتدريس والإشراف على مدرسة والده بعد أخيه، حيث شهدت المدرسة في عهده ازدهاراً واسعاً ونشاط علمي كبير[2].

فكما ذكرنا أخذ الشيخ –رحمه الله– العلم عن أخيه الشيخ مولاي عبد الله عن أبيه مولاي عبد المعطي عن احمد بن مبارك الرسموكي عن محمد بن محمد الهلالي، عن الشيخ سيد احمد بن محمد الميموني، عن الشيخ سيدي محمد بن يحي، عن الشيخ احمد الضحيكي عن الشيخ احمد الصوابي عن الشيخ سيدي احمد بن محمد بن ناصر الدرعي، عن الشيخ سيدي احمد السكوتي، عن سيدي إبراهيم بن حسان الكودي الكوزاني عن الشيخ سيدي عبد الله الأهواز، عن الشيخ سيدي احمد محمد بن احمد النهرواني، عن والده أبو الفتوح الطاووس عن الشيخ بابا موسى الهواري عن الشيخ بن شاد يخت الفارسي الفرعاني، عن الشيخ أبي لقمان يحي بن عمار بن مقيل بن شاهان بن معمر الختلاني، عن الشيخ سيدي محمد بن يوسف البربري عن الشيخ يزيد بن محمد بن إسماعيل البخاري عن الشيخ المكي بن إبراهيم عن الشيخ يزيد بن عبيد الله عن الشيخ مسلمة بن الأكوع رضي الله عنه، عن عين الرحمة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه هي السلسلة الطاهرة التي اغترف منها الشيخ علومه وسقي منها وسيظل سقيها إلى حيث شاء الله[3].

## 5. خروجه من المغرب الأقصى إلى توات:

ولما تجاوز الثلاثين من عمره غادر المغرب الأقصى وسبب ذلك قيل أن نجمه قد تألق في السياسة وحزب الاستقلال بالمغرب، وصارت كلمته مسموعة في وسط الشعب فطاردته أيادي الاحتلال الفرنسي، فكانت أول محطاته شنجيط بموريتانيا وهناك من يرى بان خروجه من المغرب لم يكن بسبب مطاردة الاستعمار له وإنما لنشر العلم وتقع شنجيط شمال الصحراء الموريتانية، وهي تذخر بالعلم والعلماء وأقام بها حوالي عامين مع أقاربه السباعيين وتصدر في المنطقة للتعليم والتدريس فتخرج على يديه علماء جهابذة نقاد[4].

[1] – الطاهري مولاي أحمد ، 1994، ص7

[2] – السباعي بن بكار صالح، 2005، ص114

[3] – محجوبي عبد العزيز وبن عزاوي محمد، 2006/2005، ص10.

[4] – غيتاوي مولاي التوهامي، 1994، ص93.

وكان أول من قابله عند نزوله شنجيط الشاعر الموريتاني محمد سالم بن أبوه اليعقوبي، الذي رحب بمقدمه بأبيات من الشعر فرد عليه الشيخ بأبيات مثلها وكذلك المنطقة بها العديد من السباعيين أصول الشيخ، ويقول تلميذه الشيخ الحاج أمحمد الكنتي أن الشيخ كان يتسمى باسم مخالف لاسمه الأصلي في كل منطقة يدخلها، واتخذ عدة أسماء ففي موريتانيا تسمى باسم أخيه "محمد الصغير" وهو أخوه الأكبر وتسمى في الجزائر باسم مولاي احمد وهو اسم احد إخوته كذلك وذلك بتعمده إخفاء اسمه الحقيقي، وهذا ما يعطي دليل أقوى لسبب خروجه من المغرب وهو مطاردة العدو الفرنسي له ولان المنطقة المغربية كانت كلها تئن تحت وطأة الإستدمار الفرنسي.

ونلاحظ أن الشيخ تكلف عناء السفر الطويل الشاق والذي كان عن طريق القوافل والإبل وعبور الصحاري الجرداء القاحلة لهدف واحد هو تعلم العلم وتعليمه وهذا يعبر عن إرادته وعزيمته القوية حيث يعتبر من العلماء المعاصرين الرحالة في وقت كانت فيه الطرق البرية صعبة السلوك من تواجد قطاع الطرق والاستعمار الذي استولى على المنطقة، فقد قطع مسافات تقدر بآلاف الكيلو مترات، أما محطته الثانية في هذه الرحلة كانت أرض تمبكتو بمالي الآن ، تقع في الطريق المار بين الجزائر باماكو عاصمة مالي والتقى بعلماء أجلاء في هذه المنطقة وتراجعوا بينه في مسائل عديدة ونكت غريبة فأخجلهم شانه، وألجمهم بما انطوى عليه ذهنه وفي النهاية لما فاز عليهم فوزا عظيما وجه لحضرتهم مختبرا لهم مرتجلا بتقريظ من الشعر في مسالة نحوية فاستعصى حلها على الجميع بعد ذالك بين غموضها وإشكالها لبراعته في العلوم.

وفي السادس والخمسين والثلاثمائة والآلف من الهجرة خرج الشيح من أرض تمبكتو فارتفق بجماعة منها متوجهين إلى توات وكان ذالك في شهر ربيع الأول وهذا حسب رواية مترجمه وتلميذه سيد الحبيب بن عبد الرحمان في الكتاب الذي ألفه الشيخ مولاي أحمد كتاب الدر المنظوم في شرح مقدمة بن أجروم حيت يرى أن دخول الشيخ توات كان عام 1356هـ[1].

أما الشيخ محمد باي بلعالم وهو تلميذه كذلك يرى أن دخوله لم يكن في عام 1356هـ بل كان عام 1363هـ سنة 1944م والملاحظ أن كلا التاريخين يشوبهما الخطأ لأنهما لم يعتمدا الحجة والأدلة القاطعة لتدعيم رأييهما ويدل هذا على أن المنطقة لم تكن تهتم بالعلم والتاريخ بل كانت تعيش في الجهل وظلماته وانتهى المطاف بالشيخ إلى منطقة توات فكان أول ما دخل إلى منطقة رقان ثم منها إلى سالي وهكذا دأب السلف الصالح في الترحال والبحث ونشر العلم فكان الواحد منهم يسافر ألاف الأميال بحثاً عن حديث واحد فقد جاهدوا أنفسهم في سبيل العلم ونشره وفازوا بالهداية[2].

قال تعالى: ﴿وَالذِينَ جَهدُوا فِينَا لَنَهْدِينَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اَللَّهَ لَمَعَ اَلْمُحسِنِينَ﴾.( سورة العنكبوت، الآية: 69)

وقال رسول الله صلى الله غليه وسلم « من سلك طريقاً ينبغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » صدق رسول الله.

## 6. تأسيس المدرسة وبداية نشاطه:

لقد كان أول نزول الشيخ بأرض توات بقصر تاوريرت التابع لمنطقة رقان حسب ما أورده في كتابه نسيم النفحات ويبعد القصر عن رقان بخمسة كيلومترات ثم منه إلى رقان عند السيد لقصاصي الحاج قدور الذي كان مشهورا بإيواء التجار والمسافرين الوافدين، ويتميز

[1] – الطاهري مولاي أحمد، 1994، ص6-7.

[2] – محجوبي عبد العزيز، بن عزاوي محمد، 2006/2005، ص17.

الشيخ عن غيره من المسافرين بحمله مجموعة من أدوات العلم من كتب وأقلام وغيرها فأرشده السيد لقصاصي إلى منطقة سالي وهي تابعة لمقاطعة رقان التي كان بها الشرفاء آل السيحمو بقصر العلوشية يبحثون عن معلم لأبنائهم بأمور الدين ويدرسهم شتى فنون العلم فلما دخل سالي اجتمع بمنازلهم بعالم جليل جعفري النسب وهو سيدي محمد ابن الحاج التيلوليني(فبعدما استقر بها المجلس وتفرق الجلساء عنها بعد العشاء بقي الجعفري في المنزل مختليا مع الشيخ ليلا فتجاريا في بعض المسائل العلمية فوجده الجعفري في العلم بحرا لا ساحل له وتعجب فيما انطوى عليه من العلوم فقال سبحان الله "لله دره عالماً" فلما أصبح الله بالصباح وجاء سيدي المهدي وإخوانه وهم كبراء البلاد قال لهم الجعفري بأول وهلة هذه ذخيرتكم النفسية وبغيتكم المنيفة فها هو العالم الذي كنتم تتمنون ساقه الله هدية إليكم ونفحة أكرم بها الله حيكم ففرحوا به غاية الفرح وقابلوه بالابتهاج والسرور ورحبوا به وبروا به غاية الترحيب والبرور فأخبروه بما كانوا يتمنون فلباهم فيما يقصدون ويريدون[1].

ويقول الشيخ في كتابه نسيم النفحات الذي يعتبر سيرة ذاتية له "فبقدرة الله سبحانه وتعالى ساقتنا الأقدار إلى تلك الديار دون معرفة سابقة بيننا وبينهم وإنما هي من أحسن المصادفات فوجدنا فيهم أحسن الأهل ووجدت بها ضالتي المنشودة فاستقام بها لنا المقام وحسن العيش وأرغده في بذل غاية الجد والاجتهاد في التدريس آناء الليل وأطراف النهار، وتعليم أولاد المسلمين من كل الطبقات لأننا وجدنا بها البلدة الطيبة، التي توسمنا فيها البلدة التي يخرج نباتها بإذن ربها وتوسموا فينا هم بدورهم نعم الزارع والمعلم النافع والمجدد الصالح والطبيب الذي يعالج الأمراض بأنجع الدواء" وكانت هذه الدروس تلقى في بيت ضيق داخل القصر قبل تأسيس مدرسته الشهيرة "بالمدرسة الطاهرية" العتيقة فضاق المركز على الطلبة الوافدين عليه من كل ناحية وكان من جملة الطلبة الشريف الأكرم السيد مولاي أمبارك بن مولاي عبد الرحمان لحبيب صاحب خير، حيث رأى ذلك الضيق فتبرع على الشيخ بقطعة أرض بين قصر العلوشية وقصر سيدي الشريف فشرع مولاي المهدي السيحمو وإخوانه في بنائها فبنوا داراً ومجلساً للتدريس ومدرسة كبيرة لسكنى الطلبة، فازدحم عليها الطلبة من كل الجهات وتكفل مولاي المهدي وإخوانه بإطعام للطلبة ليلاً ونهاراً وكل ما يحتاجون وكل سنة عند حلول الزكاة يعطون لكل طالب ما تيسر من الدراهم والكسوة فأقبلت الناس كبيراً وصغيراً على العلم[2].

## 7. تأسيس المدرسة وبداية نشاطه:

لقد كان أول نزول الشيخ بأرض توات بقصر تاوريرت التابع لمنطقة رقان حسب ما أورده في كتابه نسيم النفحات ويبعد القصر عن رقان بخمسة كيلومترات ، ففتح الله عليهم بأكمل الفتوحات وعمر بتلك المدة البساتين وبني الدور والمساكن واتسعت عليه الأرزاق حتى قام بعول الطلبة وإنفاقهم بفضل الملك الرزاق، مع قيامه أحسن قيام بالضيوف الوافدين، وإسعافه للغرباء والسائلين الواردين ولم يشتغل بذلك عن ما تصدى له من التعليم والإرشاد[3].

[1] – الطاهري مولاي أحمد، 1994، ص8-9.

[2] –الطاهري مولاي أحمد، 1994، ص1-42.

[3] –الطاهري مولاي أحمد ، ص8.

ومن أوائل الطلبة الذين شهدوا تأسيس المدرسة الجديدة الشيخ محمد باي بلعالم الذي يذكر في كتابه الرحلة العلية، أنه ورد على الشيخ في سنة 1366هـ وجاءت الوفود من الطلبة من بشار وغيرها من المناطق وهؤلاء من الداخليين، أما الخارجيين كانوا قبلهم وهم سكان بلدة سالي ونذكر منهم الحاج المختار بوسعيد إمام وفقيه مسجد بقصر عبد الواحد، ثم سيد الحبيب بن عبد الرحمن، ومولاي أمبارك لحبيب صاحب الأرض التي بنيت عليها المدرسة الجديدة، وأبناؤه كذلك السي محمد الرقاني الذي كان يسكن بقصر المحارزة وغيرهم كثير ممن يطول ذكرهم وكل هؤلاء الطلبة الذين ذكرتهم انتقلوا إلى رحمة الله[1].

## 8. هيئة التدريس:

بعد تأسيس المدرسة وذياع صيتها وتوافد الطلاب عليها من كل حدب وصوب لطلب العلم والتفقه في أمور الدين، استلزم الأمر أن يكون برنامجا تسير عليه المدرسة في التعليم وأداء الدور المنوط بها، فكان نظام التدريس خاضعا لفترتين صباحية وأخرى مسائية وهذه الأخيرة تعتمد أكثر على قراءة القران.

فالفترة الصباحية حافلة بالنشاط سواء بين الطلبة والشيخ أو بين الطلبة وحدهم وهي كالآتي:

يستيقظ الطلبة قبل طلوع الفجر يقرءون القرآن في انتظار الصلاة وبعد الانتهاء منها يتلون بعض السور القرآنية مثل يس والواقعة و الملك وبعض الأذكار والأدعية جماعة، وبهذا تكون الشمس قد طلعت بعدها يتفرق التلاميذ على معلميهم وهؤلاء المعلمين هم من أكابر الطلبة القدماء والحافظين لكتاب الله وذلك من أجل إملاء القران للتلاميذ في ألواحهم ثم يتم تصحيحها عند المعلم بعد كتابتها، ثم تدرس وتراجع حتى الحفظ التام عن ظهر القلب، ويقوم التلاميذ بعرضها على المعلم والمعروف بالطالب وهذا العرض يعرف باسم الحساية، وكل تلميذ له لوحتين واحدة لقراءة القران وحفظه والأخرى للدرس الذي يجريه الشيخ وتحمل الفقه والنحو و البلاغة وغيرها من الفنون وبعد كتابتها يعرضها التلميذ على المعلم ليصحح له بعض الأخطاء، وبعد ذلك تعرض على الشيخ في الدرس وهو ما يعرف بالوقفة، وفي هذه الإثناء يكون الشيخ في بيته منشغلا بالأذكار والأوراد والمطالعة ثم يخرج بعد ذلك لأداء الدرس اليومي الصباحي وذلك في حدود الساعة التاسعة صباحا وينتهي حتى الزوال[2].

وكان الشيخ يجلس للتدريس ذا وقار وهيبة وخشية ورهبة، مستعينا بالله بشدة وإلحاح ورغبة متبرئا من الحول والقوة لله في إقرائه مخلصا لربه في تدريسه وإفتائه مقدّما قبل خروجه بصلاة ركعتين مستمدا من الله فتحه المبين، مستقبل القبلة لدى جلوسه مطرقا لرأسه كامل الطهارة محررا للألفاظ حال الإقراء والعبارة، واضح الأسلوب يسبي بفصاحة كلامه الأذهان والقلوب ذكي الفطنة، سريع الفهم فيما يلقيه وما يمليه فكان درسه يشتمل على فنون شتى من توحيد وفقه و نحو و صرف وبلاغة ولغة منطق وحساب وفرائض وتاريخ وبالتفسير كان يختم درسه ويشرح للطلبة ألواحهم شرحا مفصلا الواحد منهم تلو الآخر ويبين لهم ما أشكل، شديد البحث والفحص جيد الكشف، وعليه كان في وقت درسه لا يجارى ولا يخجل لطارئ يطرأ عليه وعلى أي منزلة من العلم كان، فكان يشرح بعض

[1] -باي بلعالم محمد، 2005، ص358.

[2] -محجوبي عبد العزيز، بن عزاوي محمد، 2006/2005، ص29-30.

المؤلفات والمتون على عدة شروح وفي شتى الفنون من فقه ونحو وغيره وكان يعقب شرحه للقران الكريم بأربعة تفاسير، وهذا من كمال براعته في العلم واتساعه في الفهم.

لقد كان ذلك في التفسير أما في غيره فنرى أنه يعقب شرحه لمختصر خليل في الفقه بأربعة شروح يسردها بعض الطلبة وهو يوضح غموضها وما أشكل فيها، وكذلك النحو في شرح ألفية بن مالك، والعاصمية لابن العاصم في القضاء بشرحين والدرة البيضاء للأخضري في الفرائض، وهذا ما يدل على طول باعه في العلم وكثرة اطلاعه عليه[1].

وبعد انتهاء الدرس أي حوالي الواحدة زوالا يتجه الطلبة لتناول الغداء، وبعد القيلولة مع أذان الظهر يجتمعون في المسجد لانتظار الصلاة وهم يدرسون في ألواحهم أو كتبهم وبعد ذلك تحفظ الألواح حفظا دقيقا وتعرض على المعلم لتمحى بعد صلاة العصر، وبعدها يجمعهم الشيخ ليلقي عليهم دروسا في اللغة العربية من بلاغة وبيان وبديع وكان يشرح ألواح بعض الطلبة الذين يتعذر عليهم الحضور للدرس الصباحي وذلك لانشغالهم بالعمل في البساتين لتامين قوت عيالهم، لذلك كان الشيخ يخصص لهم وقتا في المساء لعرض ألواحهم وشرحها.

وبعد صلاة المغرب وقراءة الحزب الراتب يراجع الطلبة بعض الشواهد الشعرية المتضمنة لبعض المسائل الفقهية والنحوية والتي يثري بها الشيخ درسه لتوضيحها إلى حين صلاة العشاء وبعدها تقرأ سورة يس والواقعة والملك وينصرف الطلبة لتناول العشاء وبعده يقومون بمراجعة درس الصباح ليرسخ في صدورهم، ويلاحظ أن النشاطات والدروس الليلية كانت تعتمد كثيرا على دراسة القران وذلك لعدم وجود الإنارة إلا بعض القناديل والمصابيح الزيتية القليلة فلذلك كان يراجع الطلبة القرءان لحفظهم إياه من خلال التكرار والحزب الجماعي وهذا في سائر الأيام[2].

## 8. رحلاته العلمية في المنطقة وخارجها:

أما عن رحلات الشيخ العلمية التحسيسية في منطقة توات وقصورها يقول تلميذه وخليفته الثاني الشيخ سيد الحبيب في الترجمة التي وضعها للشيخ في كتابه فتوحات الإله المالك أنه بعدما فتح الله على الطلبة في العلم والفهم وتأهل فيهم من يقوم بمنصب التدريس والتعليم، قصد الشيخ التجوال في قصور توات وقراها وكان إذا خرج من المدرسة مسافرا يقيم مقامه بالتدريس للطلبة تلميذه الأجل مولاي عمر الدهبي وكان قصير الفهم قليل الإطلاع وعندما يجلس على سجادة شيخه يجري الدرس ويشرح أوقاف الطلبة الحافين به والمحدقين فيه تعجبا منه وهذا الشرح لا يُعترض ولا يُعقب عليه وهذه من كرامات الشيخ وكان يسير في هذه الرحلات في موكب عظيم وحشد هائل من طلبته النجباء مصطحبين معهم ألواحهم وأقلامهم وكراريسهم وجميع الأدوات اللازمة لهم مستفتحا الرحلة بالقصور المحاذية لسالي ولازال يتابعها قصرا بعد قصر وقرية بعد قرية من عين صالح تقصى شرق إقليم توات إلى تبلكوزة أقصى غرب الإقليم وما أشرف على قرية أو بلد ألا وجد أهلها متلقين له أحسن تلقٍ واستقبال منتظرين قدومه بأكمل انتظار بفرح وسرور واستبشار فيدخل عليهم كشمس أشرقت على الآفاق فيكسوهم بأنوار العلم المباركة وإمداداته النافعة ويرشد الضال ويهدي الحيران ويصلح ذات البين

[1] -الطاهري مولاي أحمد، 2010، ص8-9.

[2] - عبد العزيز محجوبي، محمد عزاوي، 2006/2005، ص30

وذلك من خلال الدروس والمحاضرات التي يلقيها في كل بلد، وفي الأخير تقدم له مجموعة من المسائل والفتاوى التي تعترض الناس في حياتهم فيجيب عنها وتهدى له الهدايا العظام والعطايا الجسام بطيب أنفسهم وصدق نياتهم[1].

وكانت هذه الرحلات قبل مغادرة الشيخ المنطقة سنة 1958م إلى المغرب الأقصى، أما خارج منطقة توات فنجد أنه عندما قصد الحج سنة1951م مع بعض التلاميذ، وكان بمعيتهم الشيخ الحاج محمد بلكبير فمر بمصر ودخل الأزهر الشريف وبدأ يلقي فيه الدرس على تلامذته فجاءته جماعة من طلاب الأزهر فقالوا له من أذن لك بإلقاء الدرس فقال أذن لي الملك إذ يقول " إنّ الذين كفروا ويصدُّون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والبادي ومن يُرِدْ فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم " (سورة الحج، الآية:25). فذهبوا وأخبروا شيخ الأزهر فجاءه ووقف يستمع قليلا فأعجبه الدرس فقال والله أنه لجدير أن يستمع إليه فجلس وأخذ في الاستماع وهذه القصة حكاها أحد تلامذته وهو الحاج احمد البوحامدي المعروف بالنحوي من تلامذته الأوائل ولا يزال علي قيد الحياة[2].

وبعد قيام الثورة التحريرية المباركة 1954م وما أعقبها من تنغيص وتضييق على الشيخ وطلبته قرر الذهاب إلي الحج مرة أخرى 1958م ووضع على المدرسة تلميذه الدهبي مولاي عمر كخليفة له، وكان يرافقه تلميذه الشيخ سيد الحبيب وبعد أداء مناسك الحج أوكل الشيخ خلافة المدرسة ورعاية الأهل والممتلكات إلي تلميذه سيد الحبيب و كتب له عقد الوكالة في الروضة النبوية الشريفة كما عزم على البقاء في البقاع المقدسة ريثما تهدأ الأمور، ولكن بعد لقائه السفير المغربي الفقيه السيد الحاج الغازي ومساعده السيد الحاج احمد الشرقاوي طلبا منه العودة لأن المغرب محتاج إلى العلماء وفيه مدرسة أجداد الشيخ للقيام عليها فلبى الطلب[3].

وفي المغرب عاد الشيخ إلي نشاطه العلمي كما كان في الجزائر وذلك بمدرستهم بأولاد عبد المولى ثم انتقل إلى مسجد بمراكش وقد ذكر لنا تلميذه الشيخ الحاج أمحمد الكنتي الذي درس عنه في المغرب أن الشيخ كان يقدم بعض الدروس والحصص في كلية الشريعة واللغة العربية بمراكش وكان يستعين به طلبة الكليات في عدة تخصصات كما درس في جامعة اليوسفية وجامع مولاي اليزيد.

وعاد الشيخ بعد ذلك إلى الجزائر مرتين وكانت مدة بقائه في كل مرة قصيرة فكانت الأولي عام 1391هـ الموافق لـ1971م ومكث بسالي مدة أربعة أشهر من أخر جمادى الثانية إلى شوال ثم عاد إلى المغرب وسبب عودته وصوله نبأ مرض أخيه وشيخه مولاي عبد الله الذي مات فيه –رحمه الله– فعاد إلى وطنه كالماضي وأقام فيه المحاسن والمراضي مكبا على طاعة مولاه باثا للعلم الشريف عاملا بكتاب الله وسنة نبيه فكان على ذلك ما يقارب أربعة أعوام، ثم شاءت الأقدار والإرادات بعودته إلى أرض توات للمرة الثانية والأخيرة عام 1395هـ الموافق لـ1975م فجاء كشمس أشرقت على الوجود فانتفع به القريب والبعيد وأثناء دخوله سالي خرج أهلها كلهم صغيرا وكبيرا ذكرا وأنثي لملاقاة شيخهم والترحيب به كيف لا وقد زرع فيهم محبته ومحبة العلماء فاشترى قلوبهم بطريقة تعامله وحسن سيرته فأقام فيما يقارب الشهرين من شهر صفر إلى أواخر شهر ربيع الأول بالتعيين، وقام بجولة أخيرة في المنطقة وكانت هذه الجولة أشمل

[1] –الطاهري مولاي أحمد، 1994، ص10–11.

[2] –محجوبي عبد العزيز، بن عزاوي محمد، 2006/2005، ص25

[3] –الطاهري مولاي أحمد، 1994، ص1.

وأعم من سابقتها وأكثر نفعا، بدأها من قصر سالي والقصور المجاورة لها ثم أولف وعين صالح وتمنراست ثم إلى عين أميناس وإليزي وورقلة مرورا بحاسي مسعود وغرداية وهو يقول:" بيننا وبين أهالي هذه المناطق كتاب الله نقرأه ونفسره"[1].

وكمثال عن هذه الزيارات حيث يقول في كتابه نسيم النفحات بعد ذهابه إلى ورقلة وجد أهلها وقبائلها في غاية الجود والكرم وعلو الهمة والغيرة على الإسلام وشعائره، "وفي اليوم الذي زرناهم فيه خرجوا لملاقاتنا عن بكرة أبيهم سواء في ذلك المالكية والإباضية من أتباع عبد الله بن أباض الموجودون في تلك النواحي، خرج الجميع من غير تمييز بسيارتهم الكثيرة والرفيعة على مسافة بعيدة جدا عن المدينة، ونفس الشيء حدث معه في مدينة تمنراست حيث يقول: "وأما هقار فليست معدودة من توات ويوجد بعيدا عن عين صالح ( حوالي 600كلم) وقاعدته هي التي تسمى بتمنراست وهي قاعدة الهقار جميعا وعندما زرناهم بتمنراست خرج سكانها جميعا رجالا ونساء لملاقاتنا بعدما نزلت الطائرة التي كنا على متنها كادوا أن يحطموا الحواجز التي كانت توجد بالمطار محبة وشوقا لملاقاتنا ولا تسأل عن إكرامهم وجودهم ولاسيما أعيان أهل البلد عموما وخصوصا ولاسيما تلامذتنا فجزاهم الله عنا أحسن الجزاء".

وهذا يدل على ذياع صيب الشيخ حتى خارج منطقة توات التي كان فيها نشاطه العلمي الدعوي لذلك كان يستقبل في كل محطة من محطات الزيارة بالابتهاج والسرور.

## 9. خاتمة:

وفي الأخير وكحوصلة عامة لهذا الفصل من خلال دراسة الأوضاع التي كانت عليها المنطقة يتبين لنا أن الشيخ كان له الأثر البليغ في القضاء على الجهل والأمية وبث العلم في كل ربوع المنطقة ورغم كل العلماء الذين ظهروا في منطقة توات منذ القدم إلا أن الجهل قد تفشى بسب الاستعمار الذي قضى على الحياة الثقافية وذلك بسبب اضطهاد العلماء وجمع الكتب والمراقبة المستمرة وكمثال على انتشار الجهل أنه في بعض القرى كانت عندما تصلهم رسالة مكتوبة لا تجد من يقرأها فترسل الى بلد آخر لمعرفة ما فيها وهذا مثال بسيط، وقد ساعد الشيخ من خلال تأسيسه المدرسة كمركز علمي في بعث الحياة الثقافية والروح العلمية في المنطقة ويعود له الفضل الكبير في ازدهار الحركة العلمية بحيث كثرت المدارس والطلبة الذين تخرجوا على يديه والمدارس التي أسسها وذلك نتيجة نشاطه وجهده ومن كان في وقته آنذاك كالشيخ الحاج محمد بلكبير ومن جاء بعدهم ازدهرت الحركة العلمية والفكرية كما كانت عليه سابقا .

يقول صاحب كتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات : (والحق يذكر أن الشيخ سيدي مولاي أحمد الإدريسي قد جاء لتوات وهي يومئذ تئن تحت وطأة الجهل والأمية، واليه يرجع الفضل في ازدهار الحركة العلمية والثقافية في الإقليم خلال القرن الرابع عشر الهجري).

[1] -محجوبي عبد العزيز، بن عزاوي محمد، 2006/2005، ص23-24.

## قائمة المراجع:

1. ابن بطوطة(ب، ت). رحلة ابن بطوطة المسماة رحلة النظار في غرائب الأمصار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
2. أحمد بوساحة(2001). أصول أقدم اللغات في أسماء وأماكن الجزائر، الجزء الأول، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
3. الإدريسي أحمد الشيباني(1987). مصابيح البشرية في أبناء خير البرية، مكتبة رائد الأمان، ، الرباط.
4. باي بلعالم محمد(2005). الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج1، دار هومة.
5. بن حوقل النصيري أبي القاسم(ب،ت). كتاب صورة الأرض، ج1-2، ط2، دار صادر، بيروت،.
6. بن خالد الناصري أبو العباس احمد(1955). الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى- الدولة السعدية- القسم الأول، ج5، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء.
7. حاج أحمد الصديق(2003). التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11 إلى القرن 14هـ، ط1.
8. الحسني الإدريسي عبد الله بن عبد المعطي(1986). الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع ، المطبعة الطائية.
9. السباعي صالح بن بكار(2005). الإنس والإمتاع في إعلام الأشراف أولاد أبي السباع، ط2، مطبوعات الرابطة العلمية للشرفاء السباعيين، الرباط.
10. سعد الله أبو القاسم(1998). تاريخ الجزائر الثقافي،ج7، ط1، دار الغرب الإسلامي.
11. سورة العنكبوت، الآية 69.
12. الشقراني الراشدي أحمد بن عبد الرحمان(1991). القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
13. الطاهري مولاي أحمد(1994). فتوحات ألا له الملك على النظم المسمى بأسهل السالك ،ج1، المطبعة العلاوية ، مستغانم.
14. الطاهري مولاي أحمد(2010). كتاب الدر المنظوم شرح مقدمة ابن أجروم، مطبعة الواحات، غرداية.
15. الطاهري مولاي أحمد(2005). نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط مطبوع.
16. طه جمال(ب، ت). الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي(عصر المرابطين والموحدين).
17. عائشة بطحي(1997-1998). العلماء السباعيون من خلال الإعلام والمعسول، مذكرة تخرج، كلية اللغة العربية، جامعة القرويين، مراكش.
18. الغربي محمد(ب، ت). بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت.
19. غيتاوي مولاي التوهامي(2010). سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، ج1، (دط).
20. فرج محمود فرج(1977). إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطني للكتاب، الجزائر.
21. لشقر مولاي أحمد(ب، ت). الإيداع والإتباع في تزكية شرف أبناء أبي السباع، مطبعة الجنوب، الدار البيضاء.
22. محجوبي عبد العزيز وبن عزاوي محمد(2006/2005). شخصية مولاي أحمد الطاهري ومآثره في توات، المعهد الإسلامي لتكوين الإطارات الدينية، بسكرة.